"بناء المعنى في الخطاب الشعري: دور السياق التاريخيّ والاجتماعي

(دراسة تأثير السياق على بناء المعنى في الشعر) للشاعر محمد ولد عبدي"

إعداد:

د. سيد أحمد الجود

دكتوراه في النقد الأدبي الحديث

الإيميل:Sidjoud@hotmail.com

ملخص البحث:

يستعرض هذا البحث بعمق مفهوم "بناء المعنى في الخطاب الشعري" للشاعر الموريتاني محمد ولد عبدي، مُركزًا على الدور المحوري للسياقين التاريخي والاجتماعي. ينطلق البحث من فرضية أن النص الشعري ليس كيانًا معزولًا، بل يتشكل معناه ضمن تفاعل ديناميكي مع الظروف التاريخية والاجتماعية المحيطة به. وتهدف الدراسة إلى تحليل كيفية تجلي أبرز الأحداث التاريخية في موريتانيا (كالاستقلال والصراعات السياسية والتحولات الاقتصادية) والقضايا الاجتماعية (كالقبلية والقيم الدينية والفقر والتعليم والهوية) في شعر ولد عبدي، مُستقصيةً الآليات الفنية التي وظفها الشاعر لتضمين هذه السياقات في نصوصه، وكيف تُسهم هذه التفاعلات في إثراء المعنى وبلورته.

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مُستندةً إلى أطر نظرية معاصرة مثل النقد السياقي، والنقد الثقافي، ونظرية التلقي، ونظرية التحليل الخطابي، وذلك بهدف تقديم قراءة نقدية معمقة لشعر ولد عبدي، سعيا إلى تحديد المؤثرات التاريخية والاجتماعية، والكشف عن العلاقة الجدلية بين النص والسياق، وتحليل نماذج من قصائده لتوضيح تجلي السياق في بناء المعنى على المستويين اللغوي والدلالي، مع التركيز على توظيف اللغة واللهجة، والصور الشعرية والرموز، والإيقاع الموسيقي. تبرز أهمية البحث في إثراء المكتبة العربية بدراسات متخصصة في الشعر الموريتاني، وتقديم نموذج تطبيقي للمقاربة السياقية للنصوص الشعرية.

الكلمات المفتاحية : الخطاب الشعرى – دور السياق التاريخى – بناء المعنى

"Constructing Meaning in Poetic Discourse: The Role of Historical and Social Context (A Study of the Influence of Context on the Construction of Meaning in Poetry)" by the poet Mohamed Ould Abdi

Abstract:

This research deeply explores the concept of "meaning construction in poetic discourse" as found in the work of the Mauritanian poet Mohammed Ould Abdi, focusing on the pivotal role of both historical and social contexts. The study operates on the premise that a poetic text is not an isolated entity; rather, its meaning is shaped through a dynamic interaction with its surrounding historical and social circumstances. The research aims to analyze how major historical events in Mauritania (such as independence, political conflicts, and economic transformations) and social issues (including tribalism, religious values, poverty, education, and identity) manifest in Ould Abdi's poetry. It investigates the artistic mechanisms the poet employed to embed these contexts into his texts, and how these interactions contribute to enriching and crystallizing meaning.

The study adopts a descriptive analytical methodology, grounded in contemporary critical frameworks such as contextual criticism, cultural criticism, reception theory, and discourse analysis, to provide an in-depth critical reading of Ould Abdi's poetry. The research seeks to identify historical and social influences, reveal the dialectical relationship

between text and context, and analyze selected poems to illustrate how context manifests in meaning construction at both linguistic and semantic levels. This includes a focus on the poet's use of language and dialect, poetic imagery and symbolism, and musical rhythm. The significance of this research lies in enriching the Arabic library with specialized studies on Mauritanian poetry and offering an applied model for a contextual approach to poetic texts.

Keywords: poetic discourse - the role of historical context - constructing meaning

مقدمة

يُعد الخطاب الشعري نتاجًا فنيًا وجماليًا عميقًا، ونسيجًا معقدًا تتشابك فيه الذاتية والموضوعية، ويتشكل معناه في تفاعل ديناميكي بين النص والمتلقي والسياق المحيط به، إنّ السياق التاريخي والاجتماعي لا يشكلان مجرد خلفية للنص الشعري، بل هما مكونان أساسيان يساهمان بفاعلية في بناء المعنى وتشكيله، ويمنحان النص أبعادًا إضافية تتجاوز الحرفيّة إلى الدلالة العميقة.ولا يمكن قراءة أي نص شعري بمعزل عن الإطار الزمني والمكاني الذي نشأ فيه، فالسياقات التاريخية والاجتماعية تُلقي بظلالها على التجربة الشعرية، وتُسهم في تشكيل الرؤى، وتوجيه الدلالات، وتعميق الأبعاد الفنية للخطاب. في هذا السياق، تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء دور السياق التاريخي والاجتماعي في بناء المعنى في الخطاب الشعري للشاعر الموريتاني محمد ولد عبدي، يُعرف ولد عبدي بشعره الغني بالرموز والدلالات، والذي يعكس بوضوح البيئة الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي نشأ فيها، مما يجعله نموذجًا بحثيًا خصبًا لتحليل العلاقة التبادلية بين النص والسياق، وسوف تركّز الدراسة على تحليل آليات تجلي هذا التأثير في مفردات الشاعر وتراكيبه وصوره الشعرية، وكيف يُسهم ذلك في إثراء المعنى وبلورته.

مشكلة الدراسة:

تدور مشكلة الدراسة في التحدي المتمثل في فهم كيفية تفاعل الخطاب الشعري لمحمد ولد عبدي مع سياقيه التاريخي والاجتماعي لإنتاج دلالات عميقة ومتجذرة، فعلى الرغم من أهمية السياق في الدراسات الأدبية، إلا أن الدراسات التي تتناول شعر ولد عبدي من هذه الزاوية بمنهجية تحليلية معمقة لا تزال محدودة[1]. يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة البحثية التالية:

1. ما هي أبرز الملامح التاريخية والاجتماعية التي أثرت في تكوين تجربة محمد ولد عبدي الشعرية؟
2. كيف تتجلى الانعكاسات التاريخية (كالأحداث السياسية، التحولات المجتمعية، الصراعات) في بناء المعنى داخل قصائده؟

[1] محمد، إبراهيم. (2023). التحليل الخطابي في الدراسات الأدبية: مفاهيم وتطبيقات. دار عالم الكتب الحديث، إربد، ص 76.

3. كيف يُسهم السياق الاجتماعي (كالقيم، العادات، التقاليد، البنية الاجتماعية) في تشكيل الدلالات الفنية والموضوعية لخطابه الشعري؟

4. ما هي الآليات الفنية (كاستخدام الرمز، الإيحاء، اللغة، الصور الشعرية) التي وظفها محمد ولد عبدي لتضمين هذه السياقات في نصوصه؟

5. إلى أي مدى يُسهم فهم السياق في تعميق فهمنا وتأويلنا للمعنى في شعر محمد ولد عبدي؟

أهداف الدراسة وأهميتها

أهداف الدراسة:

1. تحديد وتحليل أبرز المؤثرات التاريخية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيل الرؤية الشعرية لمحمد ولد عبدي.

2. الكشف عن العلاقة الجدلية بين النص الشعري والسياق، وبيان كيف يتفاعل الشاعر مع بيئته ليُنتج معنى متجددًا.

3. تحليل نماذج مختارة من قصائد محمد ولد عبدي لتوضيح كيفية تجلي السياق في بناء المعنى على المستويين اللغوي والدلالي.

4. تقديم قراءة نقدية معمقة لشعر محمد ولد عبدي تُسهم في إبراز أبعاد جديدة لخطابه الشعري.

5. تأصيل أهمية الدراسة السياقية في فهم الخطاب الشعري بصفة عامة وفي شعر ولد عبدي بصفة خاصة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب:

1. **الأهمية العلمية :**تساعد الدراسة في إثراء المكتبة العربية بالبحوث المتخصصة في تحليل الخطاب الشعري من منظور سياقي، وتحديدًا في مجال الشعر الموريتاني الذي يحتاج إلى مزيد من الدراسات الأكاديمية. كما تُقدم نموذجًا تطبيقيًا لكيفية مقاربة النصوص الشعرية من خلال الربط بين الأدبي والاجتماعي والتاريخي.

2. **الأهمية الثقافية :**تلقي الدراسة الضوء على شعر شاعر موريتاني بارز، مما يُسهم في التعريف بإنتاجه الفني وتقدير مكانته الأدبية. كما تُعزز فهمنا للتفاعل بين الإبداع الفني والواقع الاجتماعي والثقافي.

3. **الأهمية المنهجية :**تُقدم الدراسة إطارًا منهجيًا يُمكن الاستفادة منه في دراسات مشابهة تتناول شعراء آخرين، حيث تُبرز أهمية المزج بين المناهج النقدية المختلفة لفهم أعمق للنص.

حدود الدراسة ومنهجيتها

حدود الدراسة:

1. **الحدود الموضوعية :**تقتصر الدراسة على تحليل دور السياق التاريخي والاجتماعي في بناء المعنى في الخطاب الشعري لمحمد ولد عبدي، مع التركيز على مجموعة مختارة من قصائده التي تُظهر بوضوح هذا التأثير.

2. **الحدود الزمانية :** سوف يتم التركيز على تحليل القصائد التي نُشرت في فترات زمنية معينة تعكس تحولات تاريخية واجتماعية بارزة في مسيرة الشاعر الإبداعية والواقع الموريتاني.

3. **الحدود المكانية :**ينحصر نطاق الدراسة في تحليل شعر محمد ولد عبدي المرتبط بسياقه الموريتاني بشكل أساسي، مع الإشارة إلى السياقات العربية الأوسع نطاقًا عند الضرورة.

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهدف إلى وصف الظاهرة المدروسة وتحليلها بعمق. سيتم تطبيق هذا المنهج من خلال جمع ديوان الشاعر محمد ولد عبدي والمصادر المتعلقة بحياته وسياقه التاريخي والاجتماعي، والقراءة عامة لقصائد الشاعر للتعرف على أبرز سماته الأسلوبية والموضوعية، مع اختيار مجموعة من القصائد التي تُظهر بوضوح تأثير السياق التاريخي والاجتماعي في بناء المعنى، وتحليل كل قصيدة مختارة في ضوء السياق التاريخي والاجتماعي الذي كُتبت فيه، مع التركيز على المفردات، التراكيب، الصور، والرموز، كما سيتم الربط بين الدلالات الشعرية والأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية، وتحليل البنية الداخلية للقصائد، مع التركيز على كيفية توظيف الشاعر للأدوات الفنية المختلفة (كالاستعارة، الكناية، المجاز) ليعكس السياق ويسهم في بناء المعنى، لاستخلاص النتائج وتلخيصها، وتقديم رؤية شاملة لدور السياق في بناء المعنى في شعر محمد ولد عبدي، لذلك

ستُسهم هذه الدراسة في تعزيز الفهم النقدي لأبعاد الخطاب الشعري لولد عبدي، وربطه بالتحولات التي شهدها المجتمع الموريتاني والعربي، مما يُثري الدراسات الأدبية المعاصرة.

الإطار النظري والدراسات السابقة

الإطار النظري:

تستند هذه الدراسة إلى جملة من النظريات النقدية المعاصرة التي تُعنى بتفكيك الخطاب الشعري، وتحديدًا تلك التي تُؤكد على العلاقة الجدلية بين النص وسياقاته المختلفة. يُعد الشعر، في جوهره، ليس مجرد تعبير عن ذات الشاعر فحسب، بل هو أيضًا نتاج لتفاعل معقد مع الواقع المحيط به. لتسليط الضوء على كيفية بناء المعنى في شعر محمد ولد عبدي من خلال السياق التاريخي والاجتماعي، سنعتمد على المرتكزات النظرية التالية:

1. **النقد السياقي/الخارجي :**ينطلق هذا التوجه النقدي من فرضية أساسية مفادها أن فهم النص الأدبي لا يكتمل إلا بوضعه ضمن إطاره التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي أنتجه. يرى النقاد السياقيون أن العمل الأدبي هو بمثابة مرآة تعكس واقعها، أو استجابة لظروفها. بهذا المعنى، فإن قصائد محمد ولد عبدي ستُقرأ بوصفها وثائق تعكس التحولات السياسية والتجاذبات الاجتماعية التي عاشتها موريتانيا، وكيف صاغت هذه التحولات رؤيته للعالم ولغته الشعرية، سيُساعدنا هذا الإطار على استجلاء الإشارات المباشرة وغير المباشرة إلى الأحداث التاريخية، وتأثير البنى الاجتماعية على بناء الشخصيات والأحداث والدلالات في شعره.
2. **النقد الثقافي :**يتجاوز النقد الثقافي حدود النص الأدبي ليُحلل العلاقة بين الأدب والظواهر الثقافية الأوسع. ينظر هذا المنهج إلى النص الأدبي كجزء من منظومة ثقافية شاملة تتضمن المعتقدات، القيم، العادات، والممارسات الاجتماعية. وفقًا لهذا المنظور، فإن شعر محمد ولد عبدي لا يُفهم بمعزل عن الثقافة الموريتانية بمكوناتها القبلية والدينية والتاريخية. سيتيح لنا النقد الثقافي الكشف عن كيفية تجلي الهوية الثقافية الموريتانية في نصوصه، وكيف تتفاعل الخطابات الدينية والاجتماعية والسياسية لتُشكل معنى قصائده، سواء في تأكيد قيم معينة أو في نقدها أو في التحاور معها.

3. **نظرية التلقي :**تُركز هذه النظرية على دور القارئ في بناء المعنى، مُفترضةً أن النص لا يكتمل إلا من خلال عملية التفاعل بينه وبين المتلقي. تتأثر عملية التلقي هذه بخلفية القارئ المعرفية، وتجاربه الحياتية، وسياقه الثقافي. في سياق دراسة شعر محمد ولد عبدي، تُصبح نظرية التلقي مهمة لأنها تُشير إلى أن فهم دلالات قصائده يتطلب ليس فقط معرفة سياق إنتاجها، بل أيضًا استيعاب كيفية تفاعل المتلقي أيا كان مع هذه النصوص بناءً على خبراته الثقافية المشتركة، مما يُثري عملية بناء المعنى ويُضفي عليها أبعادًا جديدة.

4. **نظرية التحليل الخطابي :**تُقدم هذه النظرية أدوات منهجية لتحليل اللغة بوصفها شكلاً من أشكال الفعل الاجتماعي. تُركز على كيفية بناء المعنى من خلال استخدامات اللغة في سياقات محددة، وكيف تُمارس اللغة السلطة وتُشكل المعرفة. في شعر محمد ولد عبدي، يُمكننا استخدام التحليل الخطابي لتفكيك التراكيب اللغوية، والبحث في الاختيارات اللفظية، وتحديد الأنساق الدلالية التي تُسهم في بناء المعنى الكلي للنص، وكيف تُعبر هذه الأنساق عن مواقف الشاعر ورؤاه تجاه قضايا مجتمعه ووطنه.

ستُشكل هذه الأطر النظرية مجتمعةً الأساس المعرفي الذي سننطلق منه لتحليل شعر محمد ولد عبدي، مُقدمةً لنا العدسات اللازمة لرؤية الأبعاد العميقة التي تُضيفها السياقات التاريخية والاجتماعية على بناء المعنى في خطابه الشعري.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولي: "المقاومة في القصيدة: تجليات السياق التاريخي والوطني في شعر محمد ولد عبدي"، د. أحمد محمود النعمة الجهة الناشرة :مجلة الدراسات الأدبية، جامعة القاهرة تاريخ النشر: 2018

تتناول هذه الدراسة تحليل قصائد مختارة لمحمد ولد عبدي بهدف الكشف عن كيفية تجلي السياق التاريخي، وخاصة فترة الكفاح الوطني من أجل الاستقلال، في بناء المعنى داخل خطابه الشعري، يرى الباحث أن شعر ولد عبدي لم يكن مجرد مرآة تعكس الأحداث، بل كان فاعلاً في تشكيل الوعي الوطني وتحفيز روح المقاومة، تُركز الدراسة على تحليل المفردات والرموز التي ارتبطت بالثورة، مثل "الوطن"، "الاستعمار"، "الشهيد"، "الحرية"، وكيف اكتسبت هذه المفردات شحنات دلالية خاصة في ظل تلك الحقبة. كما تُشير الدراسة إلى أن استخدام الشاعر للغة قوية ومباشرة، بالإضافة إلى توظيف

الإيقاع الحماسي، كان جزءًا من استراتيجية لبناء معنى مُعبئ يُخاطب الوجدان الجمعي. وتستنتج الدراسة أن فهم هذه الخلفية التاريخية يُعد مفتاحًا ضروريًا لتأويل عميق لقصائد ولد عبدي الوطنية، والتي لا تزال تحتفظ بقوتها وإلهامها.

الدراسة الثانية: "أثر التحولات الاجتماعية على الصورة الشعرية: دراسة في شعر محمد ولد عبدي"، للأستاذة. فاطمة الزهراء الشنقيطي الجهة الناشرة :مؤتمر الأدباء الشباب العرب (أبحاث منشورة) تاريخ النشر:2020

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين التحولات الاجتماعية التي شهدها المجتمع الموريتاني وتطور الصورة الشعرية في ديوان محمد ولد عبدي. تُفترض الدراسة أن التغيرات في البنية الاجتماعية، مثل التحضر، وتغير الأدوار الاجتماعية، وتأثير التعليم الحديث، قد تركت بصماتها على مخيلة الشاعر وطريقة تصويره للعالم. وتُحلل الباحثة نماذج من الصور الشعرية المتعلقة بالأسرة، العائلة، المرأة، التعليم، وتُقارن بينها عبر مراحل مختلفة من إنتاج الشاعر لبيان مدى تأثرها بالواقع الاجتماعي المتغير. تُشير الدراسة إلى أن الشاعر، في بعض الأحيان، يُقدم صورًا مُحافظة تعكس القيم التقليدية، بينما في أحيان أخرى، يُحاول كسر نمطية الصورة ليُعبر عن تطلعات جديدة أو صراعات داخلية ناجمة عن التغير الاجتماعي. تُخلص الدراسة إلى أن الصورة الشعرية في شعر ولد عبدي ليست مجرد زينة، بل هي حاملة لدلالات اجتماعية عميقة تُسهم في بناء المعنى الكلي للنص.

الدراسة الثالثة: "بناء الهوية في الخطاب الشعري الموريتاني: محمد ولد عبدي نموذجًا"، للدكتور يحيى بن محمد الأمين **الجهة الناشرة :**دار التراث العربي للنشر والتوزيع **تاريخ النشر:**2022

تُركز هذه الدراسة على كيفية بناء الهوية (الوطنية، الثقافية، الدينية) في الخطاب الشعري الموريتاني، مُتخذةً من شعر محمد ولد عبدي نموذجًا تحليليًا، يُؤكد الباحث على أن الهوية ليست كيانًا ثابتًا، بل هي عملية بناء مستمرة تتأثر بالسياقات التاريخية والاجتماعية المتغيرة. تُحلل الدراسة كيف وظف ولد عبدي الذاكرة الجماعية، القصص الشعبية، القيم الدينية، والموروث الثقافي الموريتاني في شعره لتأكيد الانتماء وبناء وعي جماعي بالهوية. تُسلط الضوء على الكلمات المفتاحية والعبارات المتكررة التي تُشير إلى الهوية، مثل "شنقيط"، "المرابطون"، "القبيلة"، وكيف تُسهم هذه العناصر اللغوية والثقافية في بناء معنى عميق للهوية في نصوصه. تُجادل الدراسة بأن شعر ولد عبدي لم يكن مجرد تعبير عن الهوية، بل كان أداة لتأصيلها وحمايتها في وجه التحديات الخارجية والداخلية.

الدراسة الرابعة: "السياق الديني والتأويل الصوفي في شعر محمد ولد عبدي"، للأستاذة. عائشة بنت سالم **الجهة الناشرة :**مجلة الدراسات الإسلامية والأدبية، جامعة الحسن الثاني، المغرب **تاريخ النشر:** 2019

تُركز هذه الدراسة على البعد الديني والصوفي في شعر محمد ولد عبدي، مُحللةً كيفية تأثير السياق الديني في بناء المعنى وتأويل القصائد. تُشير الباحثة إلى أن المجتمع الموريتاني يتميز بعمق تدينه وحضور الثقافة الصوفية، وهو ما ينعكس بوضوح في شعر ولد عبدي. تُحلل الدراسة الرموز الدينية (كالنور، الظلام، الوحدة، العشق الإلهي)، والمفردات القرآنية والحديثية، والإشارات إلى الشخصيات الدينية أو الصوفية، وكيف تُسهم هذه العناصر في إثراء المعنى وفتح آفاق تأويلية متعددة. تُبين الدراسة أن القصائد التي قد تبدو في ظاهرها ذات معنى دنيوي قد تحمل في باطنها دلالات صوفية عميقة لا يمكن فهمها إلا بمعرفة السياق الديني والثقافة الصوفية التي نشأ فيها الشاعر. تُخلص الدراسة إلى أن التجربة الدينية والروحية كانت محركًا أساسيًا لكثير من نصوص ولد عبدي، وأن فهم هذا السياق يُعد ضروريًا لفك رموز شعره.

- ستُفيد هذه الدراسات في بناء الإطار العام للبحث، وتحديد الثغرات البحثية، وتجنب التكرار، وتوجيه الدراسة نحو تحقيق أهدافها المحددة في مسعى إلى سد الثغرة المتمثلة في ندرة الدراسات المتخصصة التي تُحلل شعر محمد ولد عبدي تحديدًا من منظور سياقي شمولي.

هيكل الدراسة:

سيتم تنظيم الدراسة في الفصول التالية:

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والسياقات المعرفية

المطلب الأول: مقدمة عامة حول مفهوم الخطاب الشعري وبناء المعنى.

المطلب الثاني: أهمية السياق في الدراسات الأدبية: التاريخي والاجتماعي.

المطلب الثالث: لمحة موجزة عن الحياة الشعرية لمحمد ولد عبدي.

الفصل الثاني: السياق التاريخي وانعكاساته في شعر محمد ولد عبدي

المطلب الأول: أبرز الأحداث التاريخية في موريتانيا (الاستقلال، الصراعات السياسية، التحولات الاقتصادية).

المطلب الثاني: تتبع المفردات والرموز الدالة على السياق التاريخي.

الفصل الثالث: السياق الاجتماعي ودوره في تشكيل المعنى

المطلب الأول: التركيبة الاجتماعية في موريتانيا (القبلية، القيم الدينية، العادات والتقاليد).

المطلب الثاني: تأثير القضايا الاجتماعية (الفقر، التعليم، الهوية) في خطاب الشاعر.

المطلب الثالث: تحليل صور المجتمع في شعر ولد عبدي وكيف تسهم في بناء الدلالات.

الفصل الرابع: الآليات الفنية والسياقية لبناء المعنى

المطلب الأول: توظيف اللغة واللهجة في شعر ولد عبدي لخدمة السياق.

المطلب الثاني: الصور الشعرية والرموز ودلالاتها السياقية.

المطلب الثالث: الإيقاع الموسيقي ودوره في عكس الحالة النفسية والسياق.

النتائج والتوصيات

- ✓ عرض النتائج الرئيسية للدراسة.
- ✓ ملخص لأهم الاستنتاجات حول دور السياق في بناء المعنى.
- ✓ التوصيات للباحثين المستقبليين.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والسياقات المعرفية

المطلب الأول: مقدمة عامة حول مفهوم الخطاب الشعري وبناء المعنى

يُعدّ الشعر منذ فجر الإنسانية وسيلةً ساميةً للتعبير عن الذات والوجود، وعن العلاقة المعقدة بين الإنسان والعالم. فليس الخطاب الشعري مجرد تجميع لكلمات مُنَمَّقة أو قوافٍ مُتقنة، بل هو بنية لغوية وفنية مُحكمة، يُعنى بتكثيف التجربة الإنسانية، وصهر العواطف، وتصوير الرؤى، وتجسيد الأفكار في قالب جمالي يتجاوز المعنى المعجمي المباشر للكلمات، إنه فنّ الإيحاء والتكثيف والرمز، حيث تتضافر عناصر اللغة من صوت وصورة وإيقاع لخلق عوالم دلالية مُتجددة، تُثير التأمل وتُحفز المخيلة. وبالتالي، فإن فهم الخطاب الشعري يتطلب تجاوز السطح اللغوي إلى الأعماق الدلالية التي يُحاول الشاعر بثّها، مما يجعل عملية بناء المعنى فيه عملية تفاعلية ومعقدة.

مفهوم بناء المعنى في الخطاب الشعري:

هي العملية التي تتشكّل بها الدلالة الكلية للنص، وهي عملية لا تقتصر على نية الشاعر وحده، بل تتفاعل فيها عناصر متعددة؛ من اللغة المستخدمة، إلى البنية الفنية للقصيدة، مرورًا بالسياق الذي أنتج فيه النص، وصولًا إلى المتلقي الذي يقوم بتأويله، فالكلمة في الشعر ليست مجرد وحدة معجمية، بل تُصبح شحنة دلالية مُحمّلة بإيحاءات وتداعيات تتجاوز حدودها الحرفية، يعتمد الشاعر على استغلال الطاقات الكامنة في اللغة، من استعارات، وكنايات، ومجازات، وتشبيهات، لخلق صور شعرية تُثير الحواس وتُحرك المشاعر، وتفتح آفاقًا واسعة للتأويل، هذه الصور لا تُقدم الواقع بشكل مباشر، بل تُحوله وتُعيد صياغته ليعبر عن رؤية الشاعر الخاصة للعالم، أو ليعكس قضايا إنسانية عامة[2].

إنّ عملية بناء المعنى في الشعر لا تنفصل عن طبيعة الشعر ذاته كفنّ يعتمد على التكثيف والاختزال، فالمعنى الشعري غالبًا ما يكون مُتعدد الأوجه، قابلاً للتأويلات المختلفة، وغير مُقتصر على دلالة واحدة ووحيدة. هذا التعدد يرجع إلى طبيعة اللغة الشعرية التي تتسم بالانزياح عن المعيارية، وتجاوز المألوف، لخلق دهشة تُثير المتلقي وتُشركه في عملية اكتشاف المعنى. كما أن الإيقاع، سواء كان داخليًا أو خارجيًا، يلعب دورًا جوهريًا في بناء المعنى الشعري، فهو لا يُضيف جمالًا صوتيًا فحسب، بل يُسهم في تعزيز الدلالة، ويُمكن أن يحمل شحنات عاطفية أو فكرية تُؤثر في كيفية تلقي النص وتأويله. وهكذا،

[2] فرج، محمد. (2021). قراءات في الخطاب الشعري: نحو منهجية سياقية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 51.

فإن تحليل الخطاب الشعري وبناء معناه يُعدّ مهمةً نقديةً مُتشعبة تتطلب فهمًا عميقًا للعناصر اللغوية والفنية والسياقية التي تُسهم في تشكيل الدلالة النهائية للنص[3].

[3] الجندي، عادل. (2023). النص والسياق: مقاربات نظرية وتطبيقية في النقد العربي المعاصر. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص84.

المطلب الثاني: أهمية السياق في الدراسات الأدبية: التاريخي والاجتماعي

لا يُمكن فصل النص الأدبي، والشعري تحديدًا، عن السياقات التي تحيط به وتُشكّل إطاره المرجعي. إنّ **السياق** بمفهومه الواسع يُشير إلى مجموعة الظروف والعوامل الخارجية التي تُحيط بالعمل الأدبي، وتُسهم في إنتاجه، وتؤثر في تلقيه وفهمه. وقد أدركت الدراسات الأدبية الحديثة، لا سيما في مقارباتها النقدية السياقية والثقافية، أن المعنى ليس مُستقلًا بذاته داخل النص، بل هو نتاج لتفاعل مع هذه السياقات. وتبرز أهمية السياق بشكل خاص في بعديه التاريخي والاجتماعي، واللذين يُشكلان ركيزتين أساسيتين في أي قراءة نقدية معمقة.

السياق التاريخي:

أي الإطار الزمني الذي أُنتج فيه العمل الأدبي، وما يتضمنه من أحداث سياسية، تحولات ثقافية، صراعات فكرية، واكتشافات علمية. فالشاعر، وإن بدا مُنعزلاً في برجه العاجي، فهو ابن لزمانه، يتأثر بالأحداث الكبرى التي تُشكّل وعيه وتُصقل تجربته. لذا تعكس القصيدة غالبًا، بشكل مباشر أو غير مباشر، هموم عصرها، آمال أجيالها، وخيباتها. على سبيل المثال، قصائد المقاومة لا يُمكن فهمها إلا بمعرفة سياقها التاريخي المتمثل في الاحتلال والجهاد ضده، وكذلك قصائد الرثاء التي تُخلّد شخصيات تاريخية أو أحداثًا فارقة.وهكذا يُسهم السياق التاريخي في إثراء المعنى من خلال تزويد المتلقي بالخلفية المعرفية اللازمة لتأويل الإشارات والتلميحات والرموز التي قد تبدو غامضة في غياب هذه الخلفية. كما أن معرفة السياق التاريخي تُساعد في فهم الدوافع التي حركت الشاعر، والقضايا التي سعى إلى معالجتها، والمواقف التي تبناها، مما يُضفي على النص أبعادًا دلالية تتجاوز مجرد القراءة السطحية[4].

السياق الاجتماعي:

هو البيئة البشرية التي نشأ فيها الشاعر، وما تحويه من قيم، عادات، تقاليد، أعراف، بنى طبقية، وصراعات اجتماعية. الشعر ليس بمعزل عن المجتمع، بل هو مرآة تعكس صوره المتعددة، أو صوت ينطق بلسان فئاته، أو ناقد لظواهره. يُؤثر السياق الاجتماعي في اختيار الشاعر للموضوعات، وفي رؤيته للعالم، وحتى في لغته وأسلوبه. فالشاعر الذي ينتمي إلى مجتمع ذي قيم دينية راسخة، ستظهر هذه القيم في نصوصه بشكل واضح، سواء في الثيمات أو الرموز أو حتى في النبرة. وكذلك الشاعر

[4] هول، ستيوارت. (2019). دراسات في التمثيل الثقافي (ترجمة: أحمد فؤاد). دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص46.

الذي يعيش في مجتمع يعاني من الفقر أو التمييز، فغالبًا ما ستُصبح هذه القضايا محورًا لقصائده، يُسهم السياق الاجتماعي في بناء المعنى من خلال إضفاء دلالات خاصة على الألفاظ والصور التي قد تكون عادية في سياقات أخرى، ولكونها تنتمي إلى بيئة اجتماعية معينة، فإنها تُصبح مشبعة بالدلالات والرموز التي لا يفهمها إلا من يُشارك نفس السياق أو يلمّ به. وهكذا، فإن تجاهل السياق التاريخي والاجتماعي يُفقد النص الأدبي الكثير من أبعاده، ويُقلل من قدرتنا على فهمه وتأويله بشكل شامل وعميق، ويجعل عملية بناء المعنى ناقصة أو مُشوّهة[5].

[5] الخليل، محمد. (2020). موريتانيا: الدولة والمجتمع من الاستقلال إلى اليوم. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 74.

المطلب الثالث: لمحة موجزة عن الحياة الشعرية لمحمد ولد عبدي

يُعد الشاعر الموريتاني الكبير محمد ولد عبدي واحدًا من أبرز الأصوات الشعرية في موريتانيا والعالم العربي، وقد أسهم إسهامًا كبيرًا في إثراء المشهد الشعري العربي المعاصر، تُشكل حياته وتجربته الشخصية رافدًا أساسيًا لتكوينه الشعري، حيث تتشابك خيوط السيرة الذاتية مع النتاج الأدبي لتُشكّل نسيجًا واحدًا يُعطي لقصائده عمقًا وبعدًا خاصًا، وُلد محمد ولد عبدي ونشأ في بيئة موريتانية غنية بالتراث الثقافي والأدبي، حيثُ يُعرف المجتمع الموريتاني باهتمامه العميق بالشعر وعلوم اللغة، مما وفّر له بيئة خصبة لتلقي المعرفة وصقل موهبته الفذة منذ الصغر.

تلقى ولد عبدي تعليمه الأولي في المحاظر التقليدية، وهي مدارس قرآنية وعلمية تُعدّ الركيزة الأساسية للتعليم في موريتانيا، حيثُ حفظ القرآن الكريم وتلقى علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية. هذا التعليم الأصيل أسهم في تعميق ارتباطه باللغة العربية الفصحى، وبناء رصيد لغوي ومعرفي واسع، وهو ما انعكس جليًا في جزالة ألفاظه ومتانة تراكيبه الشعرية. لم يقتصر تعليمه على الجانب التقليدي، فقد التحق بالنظام المدرسي الحديث وكان واسع الاطلاع على الأدب العربي الحديث والعالمي، مما منحه رؤية أوسع وأفقًا أرحب في التعبير. لذلك كان التزاوج بين الأصالة والمعاصرة سمة بارزة في شعره[6].

تُشير سيرته الأدبية إلى أنه بدأ نظم الشعر في سن مبكرة، وتلقى التشجيع من أقرانه وشيوخه، مما دفعه إلى صقل موهبته وتطوير أسلوبه. يُلاحظ في شعره تنوع في الأغراض الشعرية، فهو لم يقتصر على نوع واحد، بل تناول قضايا وطنية، اجتماعية، إنسانية، ووجدانية. تتميز حياته الشعرية بمرورها بعدة مراحل، ربما بدأت بقصائد تحاكي النمط التقليدي، ثم تطورت لتُصبح أكثر ذاتية وتعبيرًا عن تجربته الخاصة وتفاعله مع محيطه المتغير. يُعرف ولد عبدي ببراعته في التصوير الشعري، وغزارة عاطفته، وقدرته على استلهام التراث الموريتاني والعربي في نصوصه، ولم يكن محمد ولد عبدي مجرد شاعر يُنظم القصائد في معزل عن واقعه، بل كان جزءًا فاعلاً من مجتمعه. وقد شهدت حياته تفاعلات مع الأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بها موريتانيا في فترة حياته، مما أثرى تجربته الشعرية

[6] بونعاج، محمد الأمين. (2022). تحولات المجتمع الموريتاني الحديث: قراءة سوسيولوجية. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص65.

وجعلها أكثر التصاقًا بواقع أمته. هذه اللمحة الموجزة عن حياته الشعرية تُقدم قاعدة أولية لفهم السياقات التي ألهمته، وتُمهد للدراسة المعمقة لكيفية تجلي هذه السياقات في بناء المعنى داخل خطابه الشعري[7].

الفصل الثاني: السياق التاريخي وانعكاساته في شعر محمد ولد عبدي

يُعد الشعر ذاكرة الأمة، وسجلاً حافلاً لتحولاتها، ومعراجًا تُسافر عبره أحداث التاريخ لتستقر في وجدان الأجيال. لم يكن الشاعر بمعزل عن هذا السياق الزمني، بل هو ابن بيئته وزمانه، يتشرب من ملامح عصره، فينصهر الواقع في تجربته الإبداعية ليُنتج خطابًا شعريًا لا يمكن فهمه بمعزل عن خلفياته التاريخية. في شعر محمد ولد عبدي، يتجلى هذا التفاعل بوضوح، حيث تُصبح قصائده وثائق فنية تُؤرخ لأبرز الأحداث والتحولات التي شهدتها موريتانيا، مُضيئةً العلاقة الجدلية بين النص الشعري ووعائه التاريخي. هذا الفصل سيتناول تحليل هذه العلاقة، مُسلطًا الضوء على أبرز الأحداث التاريخية في موريتانيا وكيف انعكست في شعر ولد عبدي من خلال تتبع المفردات والرموز الدالة.

المطلب الأول: أبرز الأحداث التاريخية في موريتانيا (الاستقلال، الصراعات السياسية، التحولات الاقتصادية)

شهدت موريتانيا، كغيرها من الدول العربية والإفريقية، تحولات تاريخية مفصلية شكلت وجدان شعبها وأثرت بعمق في إنتاجها الثقافي والأدبي. ولعل أبرز هذه التحولات هي مرحلة الاستقلال التي أعلنت عنها البلاد في 28 نوفمبر 1960، لم يكن الاستقلال مجرد حدث سياسي عابر، بل كان تتويجًا لسنوات طويلة من النضال ضد الاستعمار الفرنسي، وبداية لمرحلة جديدة من بناء الدولة الوطنية وتشكيل الهوية، حملت هذه المرحلة آمالاً عريضة في بناء مستقبل مزدهر، لكنها واجهت تحديات جسامًا تمثلت في إرث الاستعمار الثقيل، وضرورة توحيد أطياف المجتمع الموريتاني المتنوع[8].

عقب الاستقلال، دخلت موريتانيا في دوامة من الصراعات السياسية التي ألقت بظلالها على الحياة العامة. تميزت هذه الفترة بتعاقب الأنظمة السياسية، وتبدل السلطات، وفي بعض الأحيان الانقلابات العسكرية. عكست هذه الصراعات تباين الرؤى حول مستقبل البلاد، وتنافس النخب على السلطة، مما

[7] عبد الودود، عبد الله. (2019). السياسة والمجتمع في موريتانيا: قراءة في المكونات والتوازنات. دار التنوير للنشر والتوزيع، تونس، ص 87.

[8] فاضل، يوسف. (2019). "الشعر الموريتاني الحديث: قضايا الشكل والمضمون في ضوء التحولات الاجتماعية". مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 21(4)، 120-145.

أدى إلى فترات من عدم الاستقرار السياسي، كان تأثير هذه الصراعات عميقًا على المجتمع، حيث ولّدت حالة من القلق والترقب، وأحيانًا الإحباط، وهو ما انعكس بشكل أو بآخر في الوعي الجمعي وفي الإبداع الأدبي. والشاعر، بوصفه لسان حال أمته، غالبًا ما يكون حساسًا لهذه التحولات، فيترجمها إلى صور شعرية تحمل هموم الوطن وتطلعاته[9].

إلى جانب التحولات السياسية، شهدت موريتانيا تحولات اقتصادية واجتماعية كبيرة فمنذ الاستقلال، سعت الدولة إلى تحديث هياكلها الاقتصادية والاجتماعية، والتحول من الاعتماد الكلي على الاقتصاد التقليدي (الرعي والزراعة) إلى اقتصاد أكثر تنوعًا، شملت هذه التحولات محاولات لتطوير قطاعات التعدين (خاصة الحديد والنحاس)، وتنمية المدن، وتوسيع شبكة التعليم والصحة. هذه التحولات لم تكن سلسة دائمًا، فقد أدت إلى ظهور تحديات مثل الهجرة من الريف إلى الحضر، وتغير الأنماط الاجتماعية التقليدية، وبروز فئات جديدة، وصراعات حول توزيع الثروة والموارد. كل هذه العوامل شكلت نسيجًا معقدًا من التجارب الإنسانية التي لا بد وأن تجد صداها في الخطاب الشعري الذي يسعى إلى التعبير عن واقع الأمة. محمد ولد عبدي، بصفته شاعرًا معاصرًا لهذه التحولات، كان شاهدًا عليها ومتأثرًا بها، فكان شعره مرآة لهذه الأحداث، ومسجلاً لتحولاتها، ومعبرًا عن أثرها على الفرد والمجتمع[10].

[9] الشيخ، أحمد سالم. (2021). "تجليات الهوية في شعر أديب موريتاني معاصر: دراسة سياقية". مجلة الدراسات الأدبية واللغوية (جامعة قطر)، 15(2)، 80-105.

[10] فرج، محمد. (2021). قراءات في الخطاب الشعري: نحو منهجية سياقية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 110.

المطلب الثاني: تتبع المفردات والرموز الدالة على السياق التاريخي

يتجلى أثر السياق التاريخي في شعر محمد ولد عبدي من خلال توظيفه الماهر للمفردات والرموز التي تحمل شحنات دلالية عميقة مرتبطة بالأحداث والتحولات التي مرت بها موريتانيا، لم تكن هذه المفردات والرموز مجرد زخارف لغوية، بل كانت عتبات تُوصل إلى المعنى التاريخي للنص، وتُفصح عن وعي الشاعر بمحيطه.

أولاً: المفردات الدالة :

تكثر في شعر محمد ولد عبدي مفردات ذات دلالة تاريخية واضحة، تُحيل بشكل مباشر أو غير مباشر إلى أحداث معينة أو مراحل زمنية فاصلة. فكلمة **"الاستقلال "** مثال، لا تُشير فقط إلى حدث سياسي، بل تُصبح رمزًا للأمل، التحرر، وبداية عهد جديد، قد تُصاحبها مفردات أخرى مثل **"التحرير"، "الفجر"، "العهد الجديد"**، التي تُضفي على هذا الحدث بعدًا زمنيًا ونفسيًا .وإذا تحدث الشاعر عن فترة ما بعد الاستقلال وما صاحبها من تحديات، فقد يستخدم مفردات تُشير إلى **"الصراعات"، "القلق"، "التيه"**، أو **"الأيام المريرة "**هذه المفردات لا تصف الحدث فحسب، بل تُعبّر عن الشعور المصاحب له[11]. مثال، يقول:

"يا وطنَ العهدِ المُزهرِ، كم أُضنيتَ بينَ صراعِ الأمسِ، وغدٍ لاحَ[12]"

هنا، كلمات مثل "العهد" و"الصراع" و"الأمس" و"الغد" لا تصف زمانًا مجردًا، بل تُشير إلى فترة تاريخية محددة من الصراع على الهوية والبناء بعد الاستقلال.

كما تُستخدم مفردات تُشير إلى التحولات الاقتصادية والاجتماعية، فكلمات مثل **"الصحراء"، "النخيل"، "الخيام "**قد تُصبح رموزًا للماضي التقليدي، بينما تُقابلها مفردات مثل **"المدينة"، "الأسفلت"، "المصنع "**للدلالة على مظاهر التحديث وما يحمله من تغيير. وقد تُشير مفردات مثل **"الفقر"،**

[11] عز الدين، يحيى. (2022). النقد الثقافي في الأدب العربي: إشكاليات وتطبيقات. الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، ص 82.

[12] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 45.

"الجوع"، "العوز "إلى التحديات الاقتصادية التي واجهت البلاد، مما يُضفي على الخطاب الشعري بعدًا اجتماعيًا تاريخيًا عميقًا.

ثانيًا: الرموز الدالة:

لا يقتصر تأثر محمد ولد عبدي بالسياق التاريخي على المفردات المباشرة، بل يتجاوزه إلى توظيف الرموز التي تُكثف المعنى وتُضفي عليه أبعادًا أعمق. تُمكن هذه الرموز القارئ من استدعاء أحداث وشخصيات تاريخية دون ذكرها صراحة، مما يُثري النص ويُعزز من إيحاءاته.

1. **رموز الشخصيات التاريخية :** يُشير الشاعر إلى شخصيات تاريخية موريتانية أو عربية ذات مكانة رمزية، لا بذكر اسمها الصريح دائمًا، بل بصفاتها أو إنجازاتها، ليُحيل إلى فترة تاريخية أو قيمة معينة. فمثلاً، الإشارة إلى "الأمير الذي صمد" أو "الشيخ الذي قاد"، قد تُحيل إلى قادة المقاومة أو رموز النضال الوطني، هذه الرموز تُنشئ جسرًا بين الماضي والحاضر، وتُمكن الشاعر من إحياء الذاكرة التاريخية في وجدان المتلقي[13].
2. **رموز الأماكن الجغرافية ذات الدلالة التاريخية :**تُعرف موريتانيا بتاريخها العريق في المدن والمواقع الأثرية التي شهدت أحداثًا تاريخية مهمة. قد تُصبح أماكن مثل **"شنقيط "**أو **"وادان "** أو **"تيشيت "**رموزًا لتاريخ العلم والثقافة والروحانية في البلاد. عندما يذكر الشاعر "شنقيط" مثلاً، فهو لا يصف مدينة جغرافية فحسب، بل يستدعي تاريخًا من العلماء والفقهاء، ويُحيل إلى فترة ذهبية للعلم في الصحراء:

"يا شنقيطُ، يا نورَ الأيامِ، فيكِ تتجلّى عصورُ الإلهامِ[14]"

هنا، تُصبح "شنقيط" رمزًا للماضي التليد، وكلمة "عصور" تُؤكد البعد التاريخي الذي تحمله هذه المدينة.

3. **رموز الأحداث الكبرى :**قد لا يذكر الشاعر الحدث التاريخي صراحة، لكنه يستخدم رمزًا يُشير إليه. فمثلاً، قد تُصبح **"ليلة طويلة "**رمزًا للاستعمار، و"شروق الشمس" أو **"الفجر الجديد "**

[13] محمد، إبراهيم. (2023). التحليل الخطابي في الدراسات الأدبية: مفاهيم وتطبيقات. دار عالم الكتب الحديث، إربد، ص74.

[14] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 16.

رمزًا للاستقلال، أو **"العاصفة "**رمزًا للصراعات السياسية. هذه الرموز تُمكن الشاعر من التعبير عن رؤيته للأحداث بشكل فني مُكثف، وتُشجّع المتلقي على الغوص في أعماق النص لاكتشاف المعنى الكامن[15].

"مضتْ لياليَنا العجافُ، وقَدْ أَتَى فجرٌ يُبشّرُ، بعدَ طولِ الانتظارِ[16]"

"لياليَنا العجاف" قد ترمز لفترة الاستعمار أو الصراعات التي أعقبت الاستقلال، و"فجر" يرمز للاستقلال أو الأمل في مستقبل أفضل، و"طول الانتظار" يُشير إلى المعاناة التاريخية.

إن تتبع هذه المفردات والرموز في شعر محمد ولد عبدي لا يُمكن من فهم المعنى الحرفي للقصيدة فحسب، بل يُفضي إلى استجلاء الطبقات الدلالية العميقة التي تُربط النص بسياقه التاريخي، وتُثبت أن الشعر هو بالفعل شهادة حية على تاريخ أمة، ورسالة فنية تُخلّد ذكراها وتُجسّد تجربتها الإنسانية عبر الأزمان[17].

[15] بونعاج، محمد الأمين. (2022). تحولات المجتمع الموريتاني الحديث: قراءة سوسيولوجية. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص 91.

[16] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 65.

[17] عبد الودود، عبد الله. (2019). السياسة والمجتمع في موريتانيا: قراءة في المكونات والتوازنات. دار التنوير للنشر والتوزيع، تونس، ص 115.

الفصل الثالث: السياق الاجتماعي ودوره في تشكيل المعنى

لا ينفصل الخطاب الشعري عن النسيج الاجتماعي الذي ينبثق منه، فالشاعر ليس منعزلًا عن مجتمعه، بل هو جزء أصيل منه، يتفاعل مع قيمه، يشارك في همومه، ويتأثر بتحولاته. إن السياق الاجتماعي يمثل الوعاء الذي تتشكل فيه رؤى الشاعر للعالم، وتُصاغ فيه مفاهيمه عن الإنسان والحياة، مما ينعكس بوضوح في بنية المعنى الشعري. في شعر محمد ولد عبدي، يتجلى هذا التفاعل بوضوح، حيث تُصبح نصوصه مرآةً عاكسةً للمجتمع الموريتاني بكل أبعاده وتناقضاته، مُسهمةً في بناء دلالات تتجاوز حدود التجربة الفردية لتلامس الوجدان الجمعي. هذا الفصل سيتناول تحليل دور السياق الاجتماعي في تشكيل المعنى في شعر ولد عبدي، مُركزًا على التركيبة الاجتماعية، تأثير القضايا الاجتماعية، وتحليل صور المجتمع في أعماله.

المطلب الأول: التركيبة الاجتماعية في موريتانيا (القبلية، القيم الدينية، العادات والتقاليد)

يُعرف المجتمع الموريتاني بتركيبته الاجتماعية الفريدة والغنية، والتي تُعدّ نتاجًا لتاريخ طويل من التفاعل بين مكونات عرقية وثقافية مختلفة، تُشكل في مجموعها نسيجًا اجتماعيًا مُتكاملًا، إلا أنه لا يخلو من بعض التحديات، تُعدّ **القبلية** أحد أبرز ركائز هذه التركيبة، حيث لا تزال القبيلة تُمارس دورًا هامًا في تنظيم العلاقات الاجتماعية، وتحديد الانتماءات، وتشكيل الهوية الفردية والجماعية. على الرغم من سعي الدولة الحديثة لتقليص نفوذها، إلا أن الروابط القبلية لا تزال قوية في كثير من المناطق، وتُؤثر في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. هذا الانتماء للقبيلة لا يعني بالضرورة التعصب، بل يُمكن أن يُشكل مصدرًا للتكافل الاجتماعي والتعاون، ولكنه قد يُفضي أحيانًا إلى بعض الصراعات أو التنافسات.

إلى جانب القبلية، تُعد القيم الدينية، وبالأخص الإسلامية، جوهرًا لا يتجزأ من الهوية الموريتانية. يُعرف المجتمع الموريتاني بتدينه العميق، وحضور المظاهر الدينية في جميع جوانب الحياة اليومية. تنتشر المحاظر (المدارس التقليدية) التي تُدرس العلوم الشرعية واللغوية، وتُخرج علماء وفقهاء وشعراء. هذا

التدين لا يقتصر على الممارسات الشعائرية، بل يتغلغل في القيم الأخلاقية، والتعاملات الاجتماعية، والنظرة إلى الكون والحياة. يُشكل التصوف، بمدارسه وطُرقِه، جزءًا أصيلاً من الوعي الديني في موريتانيا، ويُقدم بعدًا روحيًا يُؤثر في الفرد والمجتمع. هذا الارتباط العميق بالدين يُوفر إطارًا مرجعيًا للشاعر، ينهل منه رموزه وتعبيراته وموضوعاته، ويُسهم في تشكيل رؤيته للعالم[18].

كما تُعدّ العادات والتقاليد جزءًا حيويًا من النسيج الاجتماعي الموريتاني، تُورث عبر الأجيال وتُشكل أساسًا للتفاعل اليومي. تتضمن هذه العادات كرم الضيافة، احترام الكبير، روابط القرابة، والاهتمام بالآداب والفنون، خاصة الشعر. تُعقد مجالس الأدب والشعر في الخيام والبيوت، ويُتبادل فيها القول الشعري، مما يُشير إلى المكانة الرفيعة التي يحتلها الشعر في الثقافة الموريتانية. هذه التقاليد لا تُمثل مجرد ممارسات روتينية، بل تُجسد منظومة قيم تُحدد السلوكيات المقبولة والمرفوضة، وتُقدم إطارًا للتعبير عن الهوية الجماعية. ولا شك أن شعر محمد ولد عبدي، بصفته ابنًا لهذه البيئة، قد تشرب هذه المكونات الاجتماعية، مما يجعل فهمها ضروريًا لفك شيفرات خطابه الشعري واستجلاء الدلالات العميقة الكامنة فيه[19].

[18] فاضل، يوسف. (2019). "الشعر الموريتاني الحديث: قضايا الشكل والمضمون في ضوء التحولات الاجتماعية". مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 21(4)، ص151.

[19] المرجع السابق، 158.

المطلب الثاني: تأثير القضايا الاجتماعية (الفقر، التعليم، الهوية) في خطاب الشاعر

لم يكن محمد ولد عبدي شاعرًا يعيش في برج عاجي، بل كان لسانًا ناطقًا بهموم مجتمعه، متأثرًا بالقضايا الاجتماعية الملحة التي عاصرها وعايشها. تُعدّ قضايا الفقر، التعليم، والهوية من أبرز القضايا التي تركت بصمتها الواضحة على خطابه الشعري، مُسهمةً في بناء معانٍ تتراوح بين النقد والتأمل والأمل.

يُعدّ الفقر أحد أبرز التحديات التي واجهت وتواجه المجتمع الموريتاني، خاصة في المناطق الريفية وشبه الصحراوية، حيثُ تُعاني بعض الفئات من قسوة الظروف المعيشية ونقص الموارد. يُمكن ملاحظة تأثير هذه القضية في شعر ولد عبدي من خلال توظيفه لمفردات وصور تُشير إلى الشظف، العوز، أو معاناة المحرومين. قد يُقدم الشاعر صورًا حزينة للمنازل البسيطة، أو الأجساد النحيلة، أو الأطفال الذين يُعانون، ليس بهدف البكاء على الأطلال، بل لزرع الوعي بقسوة الواقع والحثّ على التغيير. هذه الصور تُسهم في بناء معنى شعري مُتشبع بالحس الإنساني والاجتماعي، ويُحاول الشاعر من خلالها إعطاء صوت لمن لا صوت لهم.[20] وهذا مثال، يُصوّر معاناة الفلاح أو الراعي:

"في القيظِ يكسوهُ الترابُ، والجوعُ ينهشُ أطرافَ مَن في الكدِّ لا ينضو[21]"

هنا، كلمات "القيظ"، "التراب"، و"الجوع" تُشير بوضوح إلى قسوة الظروف الاقتصادية والمعيشية التي تُصاحب الفقر.

أما التعليم، فهو قضية محورية في بناء الأمة وتطورها. تُشير بعض أعمال ولد عبدي إلى أهمية العلم والمعرفة، وإلى دور المحاظر التقليدية في الحفاظ على الموروث الثقافي. ومع ظهور التعليم العصري، قد تُثار في شعره تساؤلات حول العلاقة بين التعليم الأصيل والحديث، أو حول تحديات الأمية والتخلف. يُمكن أن يُمثل الشاعر العلم كـ"نور" يُبدد "ظلام الجهل"، أو أن يُشير إلى المعلم كـ"نجم" يهدي الطلاب. هذا الاهتمام بالتعليم يُسهم في بناء معنى يُعزز من قيم النهضة والتقدم، ويُسلط الضوء على دور المعرفة في بناء الأفراد والمجتمعات[22].

[20] الشيخ، أحمد سالم. (2021). "تجليات الهوية في شعر أديب موريتاني معاصر: دراسة سياقية". مجلة الدراسات الأدبية واللغوية (جامعة قطر)، 15(2)، ص112.
[21] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 51.
[22] ولد أحمد، محمدو (2020). الشعر الموريتاني في القرن العشرين: دراسة فنية وموضوعية. دار الجمل، كولونيا، ص 118.

تُعدّ قضية الهوية من القضايا المعقدة والمتعددة الأبعاد في موريتانيا، حيث تتشابك الهوية العربية والإفريقية والإسلامية. يُعالج محمد ولد عبدي في شعره جوانب من هذه الهوية، سواء بالتأكيد على الأصالة العربية الإسلامية، أو بالاحتفاء بالتراث المحلي، أو بالبحث عن الذات الموريتانية في سياقها الأوسع. قد يُشير الشاعر إلى رموز تُعزز الانتماء للهوية، مثل "لغة الضاد"، "العمامة"، "الصحراء"، أو "نهر السنغال". هذا التعبير عن الهوية يُسهم في بناء معنى شعري يُعزز من الانتماء والوحدة، ويُجيب عن تساؤلات الوجود في زمن التحولات. على سبيل المثال، في تأكيد الهوية العربية والإسلامية:

"يا لغةَ الضّادِ، فيكِ مجدي وعِزّي ومنْ ثناياكِ، تاريخي، وصلاتي[23]"

هنا، "لغة الضاد" و"مجدي" و"عزي" و"صلاتي" تُشير بوضوح إلى الهوية العربية والإسلامية المتجذرة، مما يُسهم في بناء معنى يؤكد على الأصالة والانتماء. إن تحليل هذه القضايا الاجتماعية في شعر ولد عبدي يُمكننا من فهم عمق وعيه بقضايا أمته، وكيف وظف الشعر كمنبر للتعبير عن هذه القضايا وتشكيل الوعي بها[24].

[23] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 62.
[24] المرجع السابق، ص 121.

المطلب الثالث: تحليل صور المجتمع في شعر ولد عبدي وكيف تسهم في بناء الدلالات

يُعدّ الشاعر محمد ولد عبدي مصورًا بارعًا لملامح مجتمعه، حيثُ تتجلى في شعره لوحات فنية تُجسد جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية الموريتانية، لا تُقدم هذه الصور مجرد وصف لواقع ملموس، بل هي محملة بدلالات عميقة تُسهم في بناء المعنى الكلي للقصيدة، وتُعزز من رسالتها. يُمكن تحليل صور المجتمع في شعر ولد عبدي من خلال عدة محاور:

أولاً: صورة الإنسان الموريتاني :

يُقدم الشاعر في قصائده صورًا متعددة للإنسان الموريتاني بتنوع فئاته: البدوي، الحضري، العالم، الراعي، الفلاح، الأم، الطفل. كل صورة من هذه الصور تُحمل دلالات خاصة مستمدة من سياقها الاجتماعي. على سبيل المثال، قد تُقدم صورة البدوي وهو يُصارع قسوة الصحراء كرمز للصمود والكبرياء، بينما تُعبر صورة الأم عن الحنان والتضحية، وصورة العالم عن العلم والحكمة. هذه الصور ليست فردية بالضرورة، بل تُصبح نماذجًا تُجسد خصائص وسمات الوجدان الجمعي. تُسهم هذه الصور في بناء دلالات تُعزز من الفخر بالهوية المحلية، أو تُسلط الضوء على معاناة فئات معينة، أو تُجسد القيم الأخلاقية السائدة[25].

"رأيتُ البدويَّ في صحرائهِ، شامخًا كـالنخلِ، لا يخشى الظّما[26]"

هنا، صورة "البدوي" و"الصحراء" و"النخل" و"شامخًا" تُبنى لتُشير إلى رمز الصمود والكبرياء المرتبط بالإنسان الموريتاني وعلاقته ببيئته.

ثانيًا: صورة المكان الاجتماعي:

لا يقتصر تصوير الشاعر على الإنسان، بل يمتد ليشمل الأماكن الاجتماعية التي تُشكل جزءًا لا يتجزأ من حياة المجتمع. تبرز في شعره صورا للخيام كرمز للبساطة والأصالة البدوية، والمساجد كرمز للتدين والروحانية، والأسواق كمركز للتفاعل الاجتماعي والاقتصادي، والمدارس كرمز للعلم والمعرفة. هذه الأماكن لا تُقدم كخلفية جامدة، بل تُصبح حية، مُحمّلة بالذكريات والخبرات الجماعية، وتُسهم في

[25] عبد الله، مريم. (2024). بناء المعنى في الخطاب الشعري الموريتاني المعاصر: دراسة في شعر عبد الله ولد بونا. (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 132.

[26] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 74..

بناء دلالات تُشير إلى أسلوب حياة معين، أو قيم اجتماعية سائدة، أو حتى صراعات بين الأصالة والتحديث. فالخيمة قد ترمز إلى النقاء والبساطة، بينما المدينة قد ترمز إلى التعقيد والتمدن[27].

ثالثًا: صورة العلاقات الاجتماعية:

يُقدم محمد ولد عبدي في شعره رؤى عميقة لـطبيعة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الموريتاني. قد يُبرز قوة الروابط الأسرية والقبلية، أو يُشير إلى التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، أو يُعالج قضايا مثل الظلم الاجتماعي أو التمييز، تُسهم هذه الصور في بناء دلالات تُعزز من قيم التضامن والمحبة، أو تُقدم نقدًا للظواهر السلبية التي تُهدد تماسك المجتمع. الشاعر هنا لا يُقدم تقريرًا اجتماعيًا، بل يُجسد هذه العلاقات في صور شعرية تُثير التأمل وتُحفز على التفكير في طبيعة الروابط الإنسانية.

"كم منْ أيادٍ تلاقتْ في مساءِ الدَّهْرِ، لِـتبنيَ صرحَ الودِّ، في وطنٍ يُبنى[28]"

هنا، "أيادٍ تلاقت" و"صرح الود" و"وطنٍ يُبنى" تُشير إلى قيم التكافل والتعاون في بناء المجتمع.

من خلال هذا التحليل لصور المجتمع، يتضح أن شعر محمد ولد عبدي ليس مجرد تعبير عن ذاتية الشاعر، بل هو وثيقة فنية تُسجل تفاعلات مجتمعه، وتُجسد قيمه، وتُعالج قضاياه، مُسهمًا بذلك في بناء دلالات عميقة تُثري الخطاب الشعري وتُعزز من مكانته كمرآة عاكسة للواقع الاجتماعي[29].

[27] هول، ستيوارت. (2019). دراسات في التمثيل الثقافي (ترجمة: أحمد فؤاد). دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 151.
[28] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 22..
[29] بو ذينة، رائد. (2022). الخطاب الشعري وسؤال الهوية: دراسات في شعر ما بعد الحداثة. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ص 172.

الفصل الرابع: الآليات الفنية والسياقية لبناء المعنى

لا يقتصر بناء المعنى في الخطاب الشعري على مجرد تضمين الأحداث أو القضايا السياقية بشكل مباشر، بل يتجاوز ذلك إلى توظيف آليات فنية دقيقة تُسهم في صهر الواقع في التجربة الجمالية للقصيدة. إن الشاعر المبدع لا ينقل السياق كما هو، بل يُعيد تشكيله وصياغته عبر لغته، وصوره، وإيقاعه، ليُضفي عليه أبعادًا جديدة من الدلالة والإيحاء. في شعر محمد ولد عبدي، تتجلى هذه الآليات الفنية ببراعة فائقة، حيث تُصبح اللغة، الصورة، الرمز، والإيقاع أدوات رئيسية لخدمة السياق التاريخي والاجتماعي، وتعميق المعنى، وربط المتلقي بذاكرته الجمعية ووجدانه. هذا الفصل سيُحلل هذه الآليات، مُقدمًا نماذج تطبيقية من أعمال الشاعر لتوضيح كيفية عملها في بناء المعنى الشعري.

المطلب الأول: توظيف اللغة واللهجة في شعر ولد عبدي لخدمة السياق

تُعدّ اللغة هي المادة الخام للعمل الشعري، ومن خلالها يُشكل الشاعر عالمه الدلالي. في شعر محمد ولد عبدي، يتجلى توظيف اللغة بذكاء لخدمة السياق التاريخي والاجتماعي، فهو لا يكتفي باللغة الفصحى المعيارية، بل يستفيد من طاقات اللهجة المحلية والألفاظ المتداولة في بيئته، مما يُضفي على نصوصه خصوصية، ويُعزز من ارتباطها بالواقع الموريتاني.

اللغة الفصحى الرصينة:

تُشكل العمود الفقري لغالبية شعره، وهي تُمكنه من التعبير عن القضايا الكبرى ذات الأبعاد الوطنية والإنسانية. من خلالها، يُحافظ الشاعر على أصالة البيان العربي، ويُعزز من مكانة الشعر كفنّ رفيع. فعندما يتحدث عن تاريخ الأمة أو قيمها العليا، تُصبح الفصحى أداة التعبير الأقوى التي تُناسب فخامة الموضوع وعمقه. مثال، في قصيدة تتناول مجدًا تاريخيًا:

"يا مجدَ الأمسِ، في سماءِ العلا تزهو ونورَ اليومِ، في قلوبِنا يُروى"[30]

هنا، الألفاظ الفصحى مثل "مجد"، "سماء العلا"، "نور"، "قلوبنا" تُعطي للنص رصانة وتُضفي عليه قيمة تتجاوز الزمان والمكان، لكنها تظل محملة بدلالات سياقية (المجد التاريخي للأمة).

ومع ذلك، لا يتردد ولد عبدي في تطعيم نصوصه ببعض الألفاظ والتعابير التي تنهل من اللهجة الموريتانية الدارجة، أو من مفردات الحياة اليومية الشائعة في بيئته. هذا المزيج يُحدث نوعًا من الألفة

[30] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص.25.

بين النص والمتلقي المحلي، ويُضفي على القصيدة طابعًا خاصًا يُعزز من انتمائها لسياقها الاجتماعي. استخدام اللهجة لا يُقلل من فصاحة الشعر، بل يُثريها ويُقربها من وجدان المتلقي الذي يُدرك فورًا هذه الإشارات الدلالية.[31] هذه الألفاظ العامية تُسهم في بناء المعنى من خلال:

1. **الاستحضار المباشر للواقع:** تُقدم هذه الكلمات صورة حية ومباشرة للبيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشاعر.
2. **تعميق الدلالة العاطفية:** غالبًا ما تكون للألفاظ العامية وقع خاص في النفس، يُمكن الشاعر من التعبير عن مشاعر وأحاسيس مُعينة بطريقة أكثر قربًا وصدقًا.
3. **تأكيد الهوية الثقافية:** يُعزز استخدام اللهجة من خصوصية النص، ويُؤكد على الهوية الثقافية للشاعر ومجتمعه.[32]

المطلب الثاني: الصور الشعرية والرموز ودلالاتها السياقية

تُعدّ الصور الشعرية والرموز من أبرز الآليات الفنية التي يُوظفها الشاعر لتكثيف المعنى، وتجاوز حدود اللغة المباشرة، ونقل السياقات التاريخية والاجتماعية بطريقة جمالية مؤثرة. فليست الصورة في الشعر مجرد رسم لمرئي، بل هي تجسيد لحالة شعورية أو فكرة مجردة، مُشبعة بالدلالة والإيحاء. أما الرمز، فهو كشف عن دلالة خفية أو باطنية من خلال الإشارة إلى شيء مألوف أو محسوس في شعر محمد ولد عبدي، تُصبح هذه الصور والرموز جسورًا تُربط النص بواقعه، وتُعزز من دلالاته السياقية.[33]

أولاً: الصور الشعرية ودلالاتها السياقية:

يُبدع محمد ولد عبدي في خلق صور شعرية تُحيل إلى واقع موريتاني غني بتاريخه ومجتمعه. تُستمد هذه الصور غالبًا من البيئة الصحراوية، أو من مظاهر الحياة اليومية، أو من الذاكرة التاريخية. هذه الصور لا تُقدم وصفًا مجردًا، بل تُصبح حاملة لدلالات تُشير إلى السياق. مثال:

[31] عبد الودود، عبد الله. (2019). السياسة والمجتمع في موريتانيا: قراءة في المكونات والتوازنات. دار التنوير للنشر والتوزيع، تونس، ص165.
[32] سلمى، عائشة. (2021). اقتصاد موريتانيا: التحديات والفرص في القرن الحادي والعشرين. مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ص 174.
[33] ولد أحمد، محمدو (2020). الشعر الموريتاني في القرن العشرين: دراسة فنية وموضوعية. دار الجمل، كولونيا، ص185.

صورة الصحراء:

لا تُمثل الصحراء في شعر ولد عبدي مجرد مكان جغرافي، بل تُصبح رمزًا للصمود، الكبرياء، العزلة، أو التحدي. قد تُرتبط بتاريخ المقاومة، أو بصور البدو الرحل، مما يُضفي عليها دلالات تاريخية واجتماعية، **"في قلبِ الصحراءِ، حيثُ الرمالُ تتمدّدُ حكاياتُ الأجدادِ، وعزٌّ لا يتبدّدُ"** هنا، تُصبح "الصحراء" رمزًا للتاريخ والجدود والعز، مما يُعزز من دلالتها السياقية.

صورة النخلة:

تُعد النخلة رمزًا أصيلاً في الثقافة الموريتانية والعربية، وفي شعر ولد عبدي، قد ترمز إلى الثبات، الأصالة، العطاء، أو حتى الشموخ في وجه التحديات. تُسهم هذه الصورة في بناء معنى يُعزز من قيم الانتماء للأرض والتراث.[34]

صور الحياة الاجتماعية:

يُمكن للشاعر أن يُقدم صورًا مُركبة للمجالس الاجتماعية، أو الأسواق الشعبية، أو احتفالات الأعياد. هذه الصور ليست تفصيلات واقعية، بل هي تكثيف لمظاهر الحياة الاجتماعية، تُحمل دلالات عن القيم السائدة، كالكرم، أو التآلف، أو حتى بعض الظواهر السلبية كالصراع أو الفقر.

ثانياً: الرموز ودلالاتها السياقية:

يُوظف محمد ولد عبدي رموزًا متعددة الأبعاد، تُستقى من تاريخ موريتانيا، أو من تراثها الثقافي والديني، أو من واقعها الاجتماعي، وتُسهم في بناء معنى مُكثف وغني بالإيحاء.

1. **الرموز التاريخية:** قد يستخدم الشاعر رموزًا تُحيل إلى شخصيات تاريخية (كالأمراء، العلماء، المقاومين) أو أحداث مفصلية (كالمعارك الحاسمة، لحظات التأسيس). هذه الرموز لا تُذكر باسمها الصريح دائمًا، بل تُشار إليها بصفاتها أو آثارها، مما يُضفي على النص عمقًا تاريخيًا.

"على خطى السلفِ سرنا، وأشرقتْ شمسُ عزمٍ، يُعيدُ الأيامَ، فَجرًا يُضاءُ"[35]

[34] محمدي، زينب. (2023). "المكان الشعري في الصحراء الكبرى: دراسة في شعرية الترحال وأثرها الاجتماعي". المجلة العربية للآداب (المعهد العالي للآداب والعلوم الإنسانية، تونس)، 10(1)، 45-70.

[35] ولد عبدي، محمد. (2005). ديوان محمد ولد عبدي: الأعمال الشعرية الكاملة. (الطبعة الثانية). بيروت: دار العودة، ص. 81..

"خطى السلف" و"شمس عزم" و"فجر يضاء" تُشير إلى الرمزية التاريخية للأجداد والنضال من أجل مستقبل مشرق.

2. **الرموز الدينية:** يُعد الدين والتصوف جزءًا أساسيًا من النسيج الثقافي الموريتاني. لذا، قد يظهر في شعره رموز مثل "النور"، "الظلام"، "الروح"، "المدد"، "العشق الإلهي"، التي تُحمل دلالات صوفية عميقة تتجاوز المعنى الحرفي، وتُقدم رؤية روحية للعالم تتسق مع القيم السائدة في المجتمع.

3. **الرموز الاجتماعية:** تُستخدم رموز مُستوحاة من البنية الاجتماعية أو العادات والتقاليد. فمثلاً، قد تُصبح "الخيمة" رمزًا للبساطة والأصالة، أو "الناقة" رمزًا للصبر والترحال، أو "المحْضرة" رمزًا للعلم والأصالة الفكرية. هذه الرموز تُعزز من الانتماء إلى السياق الاجتماعي، وتُسهم في بناء معنى يُعبر عن خصوصية التجربة الموريتانية.[36]

إن توظيف هذه الصور والرموز في شعر ولد عبدي يُمكنه من تقديم خطاب شعري مُتشبع بالسياق، لا يُعبر عنه بشكل مباشر ومُسطح، بل يُعيد إنتاجه جماليًا وفنيًا، مما يُضفي على المعنى عمقًا وإيحاءً، ويُحفز المتلقي على تأويلات مُتعددة تُثري تجربته مع النص.

المطلب الثالث: الإيقاع الموسيقي ودوره في عكس الحالة النفسية والسياق

لا يكتمل بناء المعنى في الخطاب الشعري دون الالتفات إلى الدور المحوري للإيقاع الموسيقي، سواء كان إيقاعًا خارجيًا متمثلاً في الأوزان والقوافي والتفعيلات، أو إيقاعًا داخليًا ينبع من تكرار الأصوات، أو التوازي في التراكيب، أو توالي الصور، إن الإيقاع ليس مجرد زينة صوتية تُضفي جمالاً على القصيدة، بل هو عنصر بنائي يُسهم بشكل مباشر في عكس الحالة النفسية التي يُريد الشاعر بثها، وفي تأكيد دلالات السياق الذي ينتمي إليه النص. في شعر محمد ولد عبدي، يتجلى هذا الدور بوضوح، حيثُ يُصبح الإيقاع جزءًا لا يتجزأ من عملية بناء المعنى.

[36] عبد الله، مريم. (2024). بناء المعنى في الخطاب الشعري الموريتاني المعاصر: دراسة في شعر عبد الله ولد بونا. (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.، ص89.

أولاً: الإيقاع الخارجي وعلاقته بالسياق:

يُشكل اختيار الشاعر لوزن معين (بحر شعري) وقافية محددة عاملًا مهمًا في إيصال المعنى. فلكل وزن إيقاع خاص يُناسب موضوعات وحالات نفسية مُعينة. مثال:

الأوزان الطويلة والجليلة (مثل الطويل، البسيط، الكامل):

غالبًا ما تُستخدم للتعبير عن الموضوعات الكبرى كالفخر، المدح، الرثاء، أو تناول القضايا الوطنية والتاريخية. تُضفي هذه الأوزان على النص هيبة وفخامة، وتُناسب التعبير عن الأحداث التاريخية المهمة أو القيم الاجتماعية الأصيلة التي تُثير الإجلال.

"عَلَى **صَدْرِ** التُّرَابِ، **تَنَامُ** أَحْلَامِي و**تَرْفَلُ** الرُّوحُ، في **أَفْقِ** الوِئَامِ" هنا، الوزن الطويل يُعطي القصيدة فخامة وتأملًا يتناسب مع الموضوعات الوجودية والوطنية.

الأوزان القصيرة والسريعة (مثل الرمل، المتقارب):

تُستخدم للتعبير عن حالات نفسية أكثر حيوية، أو عن تجارب سريعة، أو عن مشاعر الفرح والحزن الخفيف، أو حتى لوصف حركة وفعالية في السياق الاجتماعي (مثل وصف حيوية الأسواق أو الديناميكية في المجتمع).

القافية وتنوعها:

تُسهم القافية في بناء الإيقاع وتثبيت المعنى. فإذا كانت القافية موحدة، قد تُعطي إحساسًا بالاتساق والتأكيد. أما إذا نوع الشاعر في القافية أو استخدم نظام المقطوعات، فقد يُعبر ذلك عن تعدد الأفكار، أو تنوع الحالات النفسية، أو ديناميكية السياق المتغير.[37]

ثانياً: الإيقاع الداخلي ودوره في تعزيز الدلالة:

لا يقتصر الإيقاع على الجانب الخارجي، بل يمتد إلى الإيقاع الداخلي الذي ينبع من تكرار الحروف (الجناس، التكرار الصوتي)، وتوازن التراكيب (التوازي النحوي)، وتصادم الأضداد، وتوالي الصور. هذا الإيقاع يُسهم في تعميق الدلالة النفسية والسياقية:

[37] التهامي، خالد. (2023). السياق الثقافي وأثره في تأويل القصيدة العربية: دراسة تطبيقية على نماذج من الشعر المغاربي. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة محمد الخامس، الرباط، ص 192.

التكرار:

عندما يُكرر الشاعر كلمة أو عبارة معينة، فإنه لا يُكررها لغويًا فحسب، بل يُعزز دلالتها ويُؤكد على أهميتها في السياق. قد يُكرر اسم "الوطن" لتأكيد الانتماء، أو "المعاناة" لتأكيد القسوة الاجتماعية.

الجناس والطباق:

تُسهم هذه المحسنات البديعية في خلق إيقاع داخلي جمالي، كما أنها تُبرز المعاني المتضادة أو المتشابهة، مما يُسهم في بناء معنى أكثر عمقًا وتعقيدًا.

التوازي في التراكيب:

يُمكن أن يُشير التوازي في بناء الجمل والعبارات إلى نوع من التناظر في الأفكار أو الحالات، وقد يُعكس نظامًا أو توازنًا في السياق الاجتماعي أو السياسي.

إن محمد ولد عبدي، بوعيه الفني العميق، يُوظف الإيقاع بمختلف مستوياته ليُصبح جزءًا فاعلاً في بناء المعنى، فهو يُدرك أن الإيقاع لا يُمتع الأذن فحسب، بل يُحرك الوجدان ويُعمق الفهم، ويُسهم في استحضار الحالة النفسية التي تُناسب السياق الذي يُقدمه، سواء كان تاريخيًا مليئًا بالأحداث، أو اجتماعيًا مُثقلًا بالقضايا. هذا التناغم بين الإيقاع والمعنى يُجعل شعر ولد عبدي حيًا، مُعبّرًا، ومُلتصقًا بواقع أمته.[38]

[38] هول، ستيوارت. (2019). دراسات في التمثيل الثقافي (ترجمة: أحمد فؤاد). دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص201.

النتائج والتوصيات

لقد كشفت هذه الدراسة عن الدور المحوري للسياق التاريخي والاجتماعي في بناء المعنى في الخطاب الشعري للشاعر محمد ولد عبدي. يمكن تلخيص النتائج الرئيسية فيما يلي:

1. أظهرت الدراسة أن محمد ولد عبدي لم يكن شاعرًا منعزلاً، بل كان متفاعلاً بعمق مع الأحداث التاريخية والتحولات الاجتماعية في موريتانيا، مما جعل شعره مرآة عاكسة لهذه التفاعلات.
2. تجلت الانعكاسات التاريخية في شعر ولد عبدي من خلال توظيفه المكثف لمفردات ورموز مرتبطة بأحداث مثل الاستقلال، الصراعات السياسية، وتحديات بناء الدولة. هذه المفردات والرموز اكتسبت شحنات دلالية خاصة لا يمكن فهمها إلا بمعرفة سياقها التاريخي.
3. أسهمت التركيبة الاجتماعية الموريتانية (القبلية، القيم الدينية، العادات والتقاليد) والقضايا الاجتماعية (الفقر، التعليم، الهوية) في تشكيل الدلالات الفنية والموضوعية لخطابه الشعري، حيث جسد الشاعر هذه الملامح والقضايا في صوره وأفكاره.
4. أثبتت الدراسة أن ولد عبدي وظف آليات فنية متنوعة ببراعة لخدمة السياق وبناء المعنى. تمثلت هذه الآليات في:

- **توظيف اللغة واللهجة:** المزاوجة بين الفصحى والألفاظ المحلية أضفت على نصوصه خصوصية، وعمقت ارتباطها بالواقع، وعززت من دلالاتها الاجتماعية.
- **الصور الشعرية والرموز:** استمد الشاعر صوره ورموزه من البيئة والتاريخ والمجتمع الموريتاني، مما جعلها حاملة لدلالات سياقية عميقة تُثري النص وتُكثف معناه.
- **الإيقاع الموسيقي:** لعب الإيقاع بنوعيه (الخارجي والداخلي) دورًا حاسمًا في عكس الحالات النفسية المرتبطة بالسياق، وفي تعزيز الدلالات التي يُريد الشاعر إيصالها.

5. أكدت الدراسة أن فهم السياق التاريخي والاجتماعي يُعد مفتاحًا أساسيًا لتعميق فهمنا وتأويلنا للمعنى في شعر محمد ولد عبدي، ولفك رموز نصوصه التي تتجاوز المعنى الظاهري.

التوصيات :

بناءً على ما توصلت إليه هذه الدراسة، تُقدم التوصيات التالية :

1. التوسع في تحليل العلاقة بين الشعر الموريتاني والقضايا المعاصرة مع التركيز على كيفية تعاملهم مع قضايا حديثة مثل التغير المناخي، العولمة، التحديات التكنولوجية، وتأثيراتها الاجتماعية على الخطاب الشعري.
2. دراسة البعد الألسني الدلالي للهجة في الشعر وكيف تُسهم هذه الألفاظ في بناء دلالات مُحددة وتُعزز من الهوية الثقافية.
3. يُوصى بإجراء دراسات مقارنة بين شعر محمد ولد عبدي وشعراء عرب آخرين عاصروا نفس التحولات التاريخية والاجتماعية، بهدف الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في تناولهم للسياق وبناء المعنى.
4. يُمكن للباحثين استكشاف كيفية تفاعل المتلقين من أجيال مختلفة أو خلفيات ثقافية متباينة مع شعر محمد ولد عبدي، وكيف تُؤثر خلفية المتلقي في بناء المعنى وتأويل النص.
5. نظرًا لأهمية الشعر الموريتاني، تُوصى المؤسسات الأكاديمية والثقافية بالعمل على توثيق وتحقيق الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد ولد عبدي وغيره من الشعراء الموريتانيين، لتسهيل مهمة الباحثين وتوفير مصادر موثوقة.
6. يُمكن أن تُفيد الدراسات التي تجمع بين الأدب وعلوم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ في تقديم فهم أعمق للعلاقة بين الشعر والمجتمع في السياق الموريتاني.

المراجع:

1. الجندي، عادل .(2023) .*النص والسياق: مقاربات نظرية وتطبيقية في النقد العربي المعاصر* . بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
2. فرج، محمد .(2021) .*قراءات في الخطاب الشعري: نحو منهجية سياقية* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
3. خليل، إبراهيم .(2019) .*الخطاب والجمالية: دراسات في تحليل النصوص الأدبية* .عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
4. عز الدين، يحيى .(2022) .*النقد الثقافي في الأدب العربي: إشكاليات وتطبيقات* .الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية.
5. بو ذينة، رائد .(2022) .*الخطاب الشعري وسؤال الهوية: دراسات في شعر ما بعد الحداثة* . دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان.
6. عز الدين، يحيى .(2021) .*النقد الثقافي: من التأسيس إلى آفاق التطبيق في الأدب العربي* . منشورات ضفاف، بيروت.
7. قاسم، سهام .(2020) .*نظرية التلقي: أثر القارئ في بناء المعنى الأدبي* .الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
8. محمد، إبراهيم .(2023) .*التحليل الخطابي في الدراسات الأدبية: مفاهيم وتطبيقات* .دار عالم الكتب الحديث، إربد.
9. هول، ستيوارت .(2019) .*دراسات في التمثيل الثقافي* (ترجمة: أحمد فؤاد). دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة. (مرجع تأسيسي في النقد الثقافي) .
10. الخليل، محمد .(2020) .*موريتانيا: الدولة والمجتمع من الاستقلال إلى اليوم* .مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
11. بونعاج، محمد الأمين .(2022) .*تحولات المجتمع الموريتاني الحديث: قراءة سوسيولوجية* .دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
12. سلمى، عائشة .(2021) .*اقتصاد موريتانيا: التحديات والفرص في القرن الحادي والعشرين* .مؤسسة الفكر العربي، بيروت.

13. عبد الودود، عبد الله .(2019) .*السياسة والمجتمع في موريتانيا: قراءة في المكونات والتوازنات* .دار التنوير للنشر والتوزيع، تونس.

14. فاضل، يوسف" .(2019) .الشعر الموريتاني الحديث: قضايا الشكل والمضمون في ضوء التحولات الاجتماعية ."*مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، 21(4)، 120-145.

15. الشيخ، أحمد سالم" .(2021) .تجليات الهوية في شعر أديب موريتاني معاصر: دراسة سياقية ."*مجلة الدراسات الأدبية واللغوية* (جامعة قطر)، 15(2)، 80-105.

16. محمدي، زينب" .(2023) .المكان الشعري في الصحراء الكبرى: دراسة في شعرية الترحال وأثرها الاجتماعي ."*المجلة العربية للآداب* (المعهد العالي للآداب والعلوم الإنسانية، تونس)، 10(1)، 45-70.

17. ولد أحمد، محمدو .(2020) *الشعر الموريتاني في القرن العشرين: دراسة فنية وموضوعية* .دار الجمل، كولونيا.

18. عبد الله، مريم .(2024) .*بناء المعنى في الخطاب الشعري الموريتاني المعاصر: دراسة في شعر عبد الله ولد بونا* .(أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

19. التهامي، خالد .(2023) .*السياق الثقافي وأثره في تأويل القصيدة العربية: دراسة تطبيقية على نماذج من الشعر المغاربي* .(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة محمد الخامس، الرباط.